مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 17 العدد 2، 2020، ص ص 651- 674

الملك الجواد مظفّر الدين يونس بن ممدود بن محمّد بن أيّوب

(635- 641هـ/1237-1243م)

عبد المعزّ بني عيسى *

تاريخ الاستلام 2020/01/27 تاريخ القبول 2020/07/05

ملخّص

هدفت هذه الدراسة إلى البحث في سيرة أحد أمراء البيت الأيوبي الذي تسلّم نيابة دمشق في عهد السلطان العادل الثاني، ويدعى الملك الجواد يونس، وقد بيّنت الدراسة منهجه في الحكم من خلال سياسته الداخلية وعلاقاته الخارجية مع سلاطين وأمراء البيت الأيوبي، ومن دخل في طاعتهم، ثم الحديث عن انضمامه إلى الفرنج ضد أفراد أسرته من الأمراء الأيوبيين، حتى انتهى به الأمر سجيناً ثم موته في سجنه سنة 641هـ/1243م. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أبرزها: سيادة النظام السياسي الاستبدادي أثناء حكم الملك الجواد لدمشق، وذلك من خلال الانفراد في تسيير شؤون الحكم، واستخدام أتباعه من الجند والعسكر في ممارسة أساليب المصادرة والتنكيل في حق الأعيان والعامة على السواء، الأمر الذي أفقده ممتلكاته، ليس في دمشق وحدها وإنما في جميع المناطق التي خضعت تحت حكمه تباعاً.

الكلمات المفتاحية: الجواد، العادل الثاني، الناصر داود، الصالح أيوب، نيابة دمشق.

المقدّمة:

إن القارئ في مصادر التاريخ الوسيط ليجد كمًّا هائلًا من المعلومات التي تتحدث عن السير الشخصية لبعض الشخصيات التي كان لها بصمة واضحة في أحداث التاريخ الإسلامي، لا سيما تلك التي كان لها وزن على الصعيدين الإداري والعسكري من خلفاء وسلاطين وملوك وأمراء، وأثّروا على مجرى سير الأحداث، فاهتم بعض المؤرخين برصد تلك الأحداث، وتناقل البعض

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2020.

* قسم التاريخ، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الآخر مراحل الأدوار البطولية التي لعبتها تلك الشخصيات، وعلى النقيض من ذلك نجد نقصًا في المادة العلمية التاريخية المرتبطة بسير بعض الشخصيات، وقد يكون ذلك العزوف من قبل بعض المؤرخين عن الاهتمام بتلك الشخصيات عائدًا لتصرفاتهم وسلوكاتهم التي يطغى عليها الجانب السلبي أثناء مسيرتهم العملية، الأمر الذي يشكل عائقًا مهمًا في إعطاء الصورة البارزة والواضحة والمتكاملة عن تلك الشخصيّات.

وبناء على ذلك يحاول الباحث في هذه الدراسة تسليط الضوء على شخصية إسلامية تعود في أصولها وجذورها الأسرية إلى البيت الأيوبي، استطاعت في فترة من فترات التاريخ الأيوبي أن تضع لها موطئ قدم ضمن سلسلة الحكام الأيوبيين الذين تداولوا على حكم المناطق التابعة للدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، وأصبح صاحب هذه الشخصية في يوم من الأيام نائبًا للسلطان الأيوبي في دمشق. والدارس لهذه الشخصية يفاجأ بالمعلومات القليلة التي تتحدث عن سيرته الحياتية، لا سيما أن ما جاء في كتب التراجم، كان عبارة عن معلومات قليلة، وشحيحة جدًا حتى لا نجدها إلا في كتب لا تتعدى الكتابين أو الثلاثة.

اسمه وكنيته ونشأته:

مظفر الدين يونس بن ممدود[1] بن محمد بن أيوب بن شاذي[2]، والملقب بالملك الجواد[3]، وأبوه من أكبر أبناء السلطان العادل[4]، وقيل إنّ أمه إفرنجية الأصل [5]. نشأ الجواد في بداية الأمر في بلاط عمه الكامل (615-635هـ/1218-1237م)، وتقرّب منه إلى أن اختلف معه؛ فتركه نحو مناطق حكم عمه المعظم عيسى في الشام[6]، الذي أكرمه، ومكث عنده مدة، ثم عاد إلى مصر، وتصالح مع عمه السلطان الكامل، وعاد إلى دمشق بعد موت صاحبها الملك الأشرف موسى سنة (635هـ/1237م)[7].

تسلم الملك الجواد الحكم في نيابة دمشق بعد وفاة عمه السلطان الكامل سنة 635 هـ /1237م، ثم عوِّض عنها في سنة 636هـ/1238م بسنجار[8]، وعانة[9]، وحصن كيفا[2]، إلى أن تمكن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل من السيطرة على سنجار، فبقيت عانة في يد الجواد، ثم باعها بدوره للخليفة العباسي المستنصر بالله (623-640هـ /1226-1242م) مقابل مبلغ من المال[10]، وقيل استبدل بها جملةً من الذهب[11].

تقلّبت الأحوال بالجواد يونس بعد خروجه من نيابة دمشق، وها هو هذه المرة قد دخل إلى بغداد، وقد مكث في بلاط العباسيين برهة من الزمن، ثم خرج نحو الديار المصريّة قاصدًا الدخول في طاعة عمه الصالح نجم الدين أيوب (637-647هـ/ 1240-1249م)، الذي همّ بالقبض عليه، فهرب عائدًا إلى الكرك، حيث ابن عمه الملك الناصر داود، الذي أوعز لرجاله بالقبض عليه، وسجنه لفترة من الوقت[12]. وبعد ذلك خرج من الكرك قاصدًا عمه الصالح

إسماعيل في دمشق الذي أودعه في سجن حصن عزّتا[13]، وبقي في السجن حتى توفي سنة (641هـ/ 1243م)[14]. ويذكر صاحب كتاب الوافي بالوفيات أن الجواد يونس لم ينتهِ به الأمر في سجن عمه الصالح إسماعيل، وإنما كان قد أفلت من قبضته، وهرب نحو الفرنج في عكا ثم صيدا ثم بيروت، ومكث عندهم بعد أن أكرموا قدومه، وكان قد شهد معهم معركة قلنسوة، تلك المعركة التي قتل فيها نحو ألف مسلم[15]. وقبل الانضمام إلى الفرنجة، كان الملك الجواد يونس قد دخل في طاعة عساكر الخوارزمية[16] التي هاجمت حلب ثم تركهم، وتوجه نحو عمّه الصالح أيوب في مصر، كما ذكرنا سابقًا[17]؛ وأثناء وجوده مع الفرنج كان عمه الصالح إسماعيل قد طلبه، فأرسل إليه، ثم قام باعتقاله في السجن بحصن عزتا إلى أن توفي في سجنه - كما ذكرت - سنة 641هـ/1243م[18].

وفاته:

تباينت الروايات حول وفاته، فقيل بأن الملك الصالح إسماعيل قد أرسل إليه من خنقه داخل السجن، وأظهر للجميع بأن وفاته كانت طبيعية، فيما اتّهمه أهله بخنقه، ثم تم دفنه في جبل قاسيون في شهر شوال سنة إحدى وأربعين وستمائة للهجرة[19].

صفاته:

كان الملك الجواد جوادًا كلقبه، وشجاعًا، ولكنه كان مبذرًا لأموال الخزائن، وقليل الحزم، ويتصف بالهمة العالية، وكان محبًا للصالحين وعطوفًا على الفقراء والمساكين، ولكن من كان على بابه من الموظفين قد ظلموا الناس، ونسبوا ذلك الظلم إلى الملك الجواد، الذي أصبح مبغوضًا عند عامة الناس، وأكثروا من شتمه، حتى كان ذلك سببًا في خروجه من نيابة دمشق[20].

امتلك الجواد من العساكر الجيدة الكثير، وأصبح في يده مملكة واسعة، يقول ابن واصل: "فكان مشى أمره بين ملكين مختلفين، أي منهما مال معه ترجح به على الآخر، لكن سوء الحظ أدركه"، ويقول أيضاً واصفاً الملك الجواد: "مفرط الجود وعنده شهامة، واحتشام، لكنْ آراؤه فيها ضعف، وكان شجاعاً ولكنه فاسد التدبير ضعيف الرأي"[21]. فعلى الرغم من بعض الصفات الإيجابية التي اتصف بها الملك الجواد فإنّ اعتماده على مجموعة فاسدة من الأمراء ورجالات الحكم الذين أداروا دفة الحكم بمحض إرادته قد نفى عنه ما يتحلّى به من صفات حسنة، وإن كان في الجود والكرم مفرطاً كحاتم الطائي في زمانه.

زواجه:

تزوج الملك الجواد من ابنة عمه الأشرف موسى، وذلك عندما وصل إلى حكم دمشق، ثم عندما آلت المدينة إلى الملك الصالح إسماعيل، تم فسخ الزواج بعد أن أثبت عند الحاكم بدمشق أن الجواد قد حلف بطلاقها في أمر وحدّث فيه، وزوّجها من بعده لابنه الملك المنصور[22].

ثانيًا: تولّي الجواد نيابة دمشق:

احتدم الصراع حول امتلاك دمشق وأعمالها من قبل أمراء الدولة الأيوبية، بعد وفاة السلطان المؤسس للدولة الأيوبية صلاح الدين يوسف، لا سيما تلك الصراعات التي كانت بين أبنائه وبين أبناء العمومة أولاد السلطان العادل، وإن كانت دمشق تحت حكم المعظم عيسى قد شهدت نوعًا من الاستقرار الأمني والسياسي، إلا أن أحوال المدينة قد عادت إلى سابق عهدها بعد وفاته سنة 624هـ /1226م[23]، فقد تسلّم ابنه الملك الناصر داود الحكم في دمشق، وأصبحت القدس والساحل الشامي تابعة له[24]، وفي عهده دبّ الصراع من جديد بينه وبين عمه السلطان الكامل الذي أخرجه من دمشق، وسلمها إلى أخيه الملك الأشرف موسى، بينما حصل الناصر داود على الكرك بموجب الصلح الذي وُقّع بين الطرفين، ثم عادت الخلافات بينهما في نهاية سنة 632هـ/1234م وبداية العالم التالي، وفر حينها الناصر داود من الكرك باتجاه الخليفة العباسي في بغداد، فأكرمه الخليفة المستنصر بالله (623-640هـ/ 1226-1242) بعد أن قدّم إليه الناصر تحفاً عظيمة وجواهر فنية، مكث في العراق فترة زمنية ثم عاد إلى الكرك[25].

برز الملك الجواد يونس على الساحة كأحد الأمراء الأيوبيين، في ظل سيطرة الملك الأشرف موسى على دمشق حيث كان إلى جانب عمه الأشرف في حربه ضد صاحب الروم كيقباذ[26]، وذلك في عام 627هـ/1229م[27]. وبعد وفاة الأشرف سنة 635هـ/ 1237م، أصبحت الساحة خالية أمام الطامعين في الحصول على دمشق، وكان على رأسهم الجواد يونس، لا سيما بعد ارتباطه وزواجه من ابنة عمه الأشرف موسى[28]، ويبدو كما ذكرنا سابقًا أن تقرّبه من عمه الكامل، قد مهّد أمامه الطريق في الحصول على دمشق، لا سيما بعد مرافقته إيّاه إلى الشام من أجل محاربة الصالح عماد الدين إسماعيل، الذي حل محل أخيه الأشرف في إقطاعاته، ومن ضمنها دمشق، ومن ثم تم إخراجه إلى بعلبك بعد أن سلّمها للسلطان الكامل سنة 635هـ/1237م[29]، وقد استفاد الجواد من وفاة عمه الكامل، فحصل على دمشق، واعتلى سدة الحكم فيها[30]، وذلك بعد الاجتماع الذي عقده مجموعة من الأمراء في قلعة دمشق، وكان من بينهم سيف الدين علي بن قليج[31]، وعز الدين أيبك[32]، وفخر الدين[33] شقيق عماد الدين[34]، أبناء شيخ الشيوخ[35]، وقد تشاوروا فيما بينهم[36]، وخرجوا من الاجتماع دون الوصول إلى اتفاق كلي، إذ اختلفت المقاصد والأهواء، فمنهم من انضم إلى جانب الناصر داود، وأشاروا عليه بإخراج الأموال

وترغيب الناس، ومنهم من كان يكره الناصر داود، وعلى رأسهم أبناء الشيخ مثل: عماد الدين وفخر الدين، الذين أيدوا تولية الجواد نائبًا في دمشق، وقد انحاز بقية الأمراء المجتمعين لرأيي أبناء الشيخ[37].

يذكر النويري الحوار الذي دار بين فخر الدين ابن شيخ الشيوخ، وبقية الأمراء المجتمعين في القلعة حول تولية الجواد نيابة دمشق، حيث قالوا لفخر الدين: "ما تقول فيه؟ فقد اتفق الأمراء عليه، فقال: المصلحة أن نولّي بعض الخدام نائبًا عن الملك العادل (635-637هـ/ 1237-1239م) ابن أستاذنا الملك الكامل، فمتى شاء عزله وإن رضي أبقاه، ولا تولّوا من بيت الملك فيتعذر عزله ويستقل بالملك"[38].

انتهى المؤتمر الحواري بتبني العديد من التوصيات، نذكر منها: 1. إسناد السلطة في مصر والشام للسلطان العادل الصغير ابن الكامل 2. تولية ابن عمه الملك الجواد يونس نائبًا عنه في دمشق[39]، ثم كتموا أمر الجواد عن الناصر داود، وأرسلوا إليه الركن الهيجاوي[40] يخبره بالرحيل عن دمشق، فالتقى به في دار أسامة، وقال له: "إيش قعادك في بلد القوم"؟ فما كان من الناصر داود إلا أن ركب فرسه، وخرج، ومن وراءه العامة تصيح: "لا لا"، وقد ضاقت الناس في دمشق، وانقلبت أحوالها، ودعا أهالي دمشق له وفوّهوا باسمه، بسبب حبهم الشديد لأن يكون لدمشق نائب عن السلطان في مصر، الأمر الذي جعل واليها بهاء الدين بن ملكيشو يستخدم الدبابيس[41] لتفريق العامة، وتهدئة الأمور[42]، وكان الناصر داود في مخيلته التوقع بمنحه دمشق من قبل عمه الكامل، حسبما كان من اتفاق بينهما، ولكن وفاته قد فوّتت الفرصة على الناصر داود، لا سيما بعد تحكّم أبناء شيخ الشيوخ، وبقية الأمراء في تسيير أمور دمشق، ونظرًا للمكانة التي احتلوها لدى السلطان الأيوبي الكامل، وقد رأوا في الملك الجواد الرجل المناسب من أسرة السلطان الذي يتولى عنه النيابة في دمشق، أو كما قال ابن واصل: "إذ لا يمكن أن يحفظ دمشق الآن برجل من أهل بيت الملك يرجى ويخاف"[43]، وفي الوقت نفسه رأوا في الناصر داود الشخص المستبد الذي إذا ما فوّض له الأمر يستبد بالملك لنفسه فيخشى جانبه، مما جعل جميع الأمراء المجتمعين ينحازون إلى جانب الجواد يونس[44]، وكان الناصر داود قد خرج من دمشق متوجهًا نحو الكرك[45]، وعندما شعر بخذلان الأمراء المجتمعين في عدم إيصاله إلى حكم دمشق، خرج من داره نحو قصره بالقابون[46]، قبل أن يتوجه إلى الكرك، وقد ذكر ابن كثير أن الناصر داود رحل إلى عجلون، ثم اتجه نحو بلاد الساحل وغزة، وانتهى به المطاف في الكرك، بينما ركب الملك الجواد في أبهة الملك، وتقرّب من الأمراء بأن أنفق عليهم الأموال والخلع[47]، وقد أخرج من الخزائن ما مقداره ستمائة ألف دينار[48]، بينما يذكر سبط ابن الجوزي أن الجواد يونس: "فرق ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خلعة"[49]. وكان ما بذله من كثرة الأموال طمعًا في

الاستبداد بملك دمشق[50]. وبدأ الجواد منذ اعتلائه المنصب الجديد في مباشرة الأمور في دمشق، وإلى جانبه العساكر، ومقدمها عماد الدين ابن الشيخ[51].

أراد الجواد يونس بهذه التصرفات أن يحيط نفسه بشوكة قوية عمادها تلك العساكر المصرية، والمماليك الأشرفية التي يتقدمها الأمير عز الدين أيبك الأشرفي، وذلك من أجل مساعدته في ضبط الأمن وحفظ البلاد[52]، يقول ابن كثير: "واستقر ملكه بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون[53]". لا سيما بعد أن وصلته الخلع والصنجق[54] من السلطان العادل الثاني في مصر إيذانا بالقبول والرضا بتعيينه نائبًا عنه في دمشق[55].

سياسة الجواد يونس الداخلية:

ما أن اعتلى الملك الجواد نيابة دمشق حتى بدأ بالتقرّب من أعيان المدينة وأمرائها، إذ أمر بفتح الخزائن، وإخراج الأموال التي بلغت نحو ستة ملايين دينار، كما أمر لهم بخمسة آلاف خلعة[56]. ثم أمر في إبطال المكوس[57]، ومنع أيضًا الخمور، ونفى الخواطئ (المغاني)[58]. ويبدو أن الجواد يونس يعلم تمامًا ما يفكر به الأمراء في دمشق، وعلى رأسهم أبناء شيخ الشيوخ، ويعي تمامًا سبب انحيازهم وإصرارهم على توليته نائبًا لدمشق بدلاً من الناصر داود، وكل ذلك من أجل تسيير الأمور وفقًا لنصائحهم، واستشاراتهم، وقد فطن الجواد لمصدر قوتهم في دمشق، والمستمدة من السلطان العادل الثاني، فحاول نائب دمشق شراءهم بالأموال، وعرض عليهم الإقطاعات، ومن ذلك ما قدّمه للأمير فخر الدين، ووعده أن يعطيه إقطاع مائة وخمسين فارسًا، ومبلغ عشرة آلاف دينار[59]، وعندما رفض فخر الدين مثل هذه العروض، وأصاب الجواد يونس اليأس في القدرة على ضمّه تحت جناحه، أمر بتفريق الضياع الدمشقية على أمرائه وعساكرهم، كما خلع عليهم، وأنفق عليهم ما في الخزائن من أموال، حيث يذكر النويري أنها بلغت نحو تسعمائة ألف دينار[60]، ويقول ابن واصل: "وأخرج ما في الخزائن من الأموال والخلع، فخلع على الأمراء والأجناد وأكثر من العطاء ليستميلهم إليه، وقوّى طمعه في ملك دمشق والاستبداد بملكها"[61]. وقد بدأ الجواد سياسته الداخلية باستعداء أمراء دمشق، الذين أخذوا في الرحيل عن دمشق، فهذا فخر الدين ابن شيخ الشيوخ، ومعه مجموعة من الأمراء قد توجهوا نحو الديار المصرية، لا سيما بعد أن أمر عددًا من أتباعه، فقاموا بنهب الناس، وظلمهم، ثم ينسبون ذلك إلى الجواد[62]. وكان الجواد قد أمر بالقبض على الصفيّ بن مرزوق[63] سنة 636هـ/ 1238م، فصادره بأربعمائة ألف دينار، ثم أمر بحبسه في قلعة حمص، بعد أن كان ابن مرزوق يحسن كثيرًا إلى الجواد[64]. وقد ورد في كنز الدرر القصة الكاملة حول ما جرى من تصفيته لصفي الدين بن مرزوق، والتي كانت بسبب الملك المجاهد صاحب حمص، حيث اتهمه الأخير في النية بقتله، فأوغر صدر الجواد يونس عليه، لما كان بينهما من العداوة عندما استوزره الملك الأشرف

موسى، يقول الدواداري في ذلك: "صنع صفي الدين تابوت خشب، وترك فيه جواهر عظيمة، ولؤلؤا وفصوصًا وياقوتا، وأظهر إن إحدى سراريه[65]، وقد ماتت وهي عزيزة عنده، وأنه يريد دفنها في داره وهي المدرسة النجيبية الشافعية[66]، ثم حُمِل التابوت إلى الجامع وصلّى عليها كبار دمشق، زاعمًا بأنها داخل التابوت، ثم أودعه في القبر، ثم أمسك الصفي بعد ذلك بأشهر يسيرة، واعتقل بقلعة دمشق، ودلّ أحد خدامه الملك الجواد على خبر التابوت، فأخرج وفتح أمامه، وطلع منه شيء يبهر العقول من جواهره ولآليه وفصوصه، وقد قدّر ثمنها بنحو مائتي ألف دينار وستين ألف دينار"[67]. ولم يسلم حتى الدماشقة من جوره وظلمه، إذ سلّط خادمًا لزوجته يقال له: (الناصح)، على أهالي دمشق، فصادر منهم نحو ستمائة ألف درهم[68]، يقول الدواداري في ذلك: "فأخذ الناصح أموال الناس باليد، وصادرهم، وضربهم بالسياط، وعلقهم بأرجلهم، واستخرج منهم ستمائة ألف درهم". ويقال إنّ الجواد مات، ولم يرد إلى الناس أموالهم، كما صادر أموال التجار والكتّاب، بينما نجده مع الأمير عماد الدين بن الشيخ متذبذبًا في معاملته، يقول الدواداري: "وبلغني أن عماد الدين بن الشيخ، وقع بسفط[69]، فيه اثنا عشر قطعة من الجوهر مع فصوص ليس يعرف لهم قيمة فيعبّر عنها، فدخل على الجواد، واستوهبه منه، فوهبه له[70]، وفي موقف آخر نجده قد أمر بالقبض على عماد الدين سنة 636هـ/ 1238م، ثم أطلقه لخوفه من أخيه فخر الدين[71].

أمّا عن سياسته وعلاقاته مع أبناء العمومة من أمراء البيت الأيوبي، فقد اختلفت تماماً عن تلك التي ربطته بأمراء وأعيان نيابة دمشق، حيث نجده قريبًا من المجاهد أسد الدين صاحب حمص، ولا يخرج الجواد عن رأيه ويلجأ إليه في كل صغيرة وكبيرة[72]، كما تآمر معه على قتل عماد الدين، ابن شيخ الشيوخ وقت حضوره إلى دمشق قادمًا من عند السلطان العادل الثاني رسولاً إلى الملك الجواد، ومختصر الحديث عن هذه الحادثة يأتي بعد رحيل أبناء شيخ الشيوخ، وعلى رأسهم عماد الدين وأخيه فخر الدين نحو الديار المصرية، ولقائهم السلطان العادل الثاني، وحديثهم له عن مساوئ الملك الجواد في دمشق، وظلم أمرائه للأهالي والأعيان، الأمر الذي جعل السلطان العادل يبعث إليه عماد الدين رسولاً إلى دمشق يخبره بعزله عن نيابة دمشق، مما جعل الجواد يأمر بقتله على باب المسجد الأموي في السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة 636هـ/ 1238م[73]. وقد تحالف آنذاك الاثنان، ومعهما الأمير عماد الدين بن قليج على قتل ابن شيخ الشيوخ، واتفقا أن يكونا يدًا واحدة، ولكن نجد الملك المجاهد قد ترك الجواد وحيدًا في سنة 636هـ/ 1238م، يدبر أمره بمفرده أمام جيش الملك الصالح أيوب القادم نحو دمشق.

وعلى النقيض من ذلك، يسلك الملك الجواد مع الآخرين مسلكاً مختلفاً ومغايراً عن السابق، إذ صمّم منذ اللحظة الأولى بعد دخوله دمشق نائبًا؛ أن يخرج في إثر الملك الناصر داود الذي غادرها باتجاه الأراضي الفلسطينية، واستولى حينذاك على غزة والسواحل، لكثرة عساكره، وأقام

في غزة، ثم طلب من السلطان العادل الثاني دمشق، وأن يكون فيها نائباً عنه بدلاً من الجواد، وقد قوبل طلبه بالرفض التام[74]، فما كان من الجواد إلاّ أن سار في جيش كبير يتألف من المصريين والشاميين، ثم أمر العساكر الأشرفية بمكاتبة الناصر داود والإغرار به، فاغتر لقولهم، وجاءهم من غزة في سبعمائة فارس، ومعه خزائنه وأثقاله، وقيل إنّها كانت محمولة على سبعمائة جمل، ووصل بها إلى سبسطية[75]، بينما الجواد وجيشه مرابطون في جينين[76]، وما إن سمع الجواد بخبر قدومه حتى أحاطت عساكره بالناصر داود الذي فرّ إلى جهة نابلس[77]، وفي مكان أذنبا بالقرب من نابلس حلت الهزيمة بالناصر داود ومن معه من العساكر، وهرب نحو الكرك بعد أن ترك وراءه الخزائن والأموال التي سيطر عليها الملك الجواد[78]، يقول ابن كثير: "فهرب الناصر، فاستحوذوا على حواصله، وافتقر بسببها، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة[79]، قد سلب أمواله وأثقاله"[80].

العلاقة بين الجواد والعادل الثاني:

اتسمت العلاقات بين الملك الجواد يونس وابن عمه السلطان العادل الثاني، الذي ورث أباه الكامل في حكم الدولة الأيوبية، بالمحبّة والمودّة، وتقرّر أن يكون الجواد نائبًا عنه في دمشق، وكان العادل الثاني قد رفض العروض التي تقدم بها الناصر داود، ومن ضمنها إعلان تبعيته له إذا ما حصل على دمشق، إلا أن ما أقدم عليه الجواد من ظلم وإيذاء للعامة والخاصة في فترة حكمه لدمشق، وكذلك وجود أبناء شيخ الشيوخ في مصر إلى جانب السلطان العادل قد أفسد تلك العلاقة، وجعل العادل الثاني يتربّص به، فأرسل أولاً عماد الدين بن شيخ الشيوخ لعزله من دمشق، وأغراه بالامتثال إلى طلبه، مقابل إعطائه قلعة الشوبك، وما حولها، بالإضافة إلى مناطق الإسكندرية، وأعمال البحيرة[81]، وقيلوب، وعشر قرى من بلاد الجيزة في الديار المصرية، ثم يصبح مستشارًا في مقر إقامته بالقلعة[82]، لكنّ طلبه قد قوبل بالرفض من قبل الجواد يونس، الذي همّ في مراسلة الملك الصالح أيوب من أجل الدخول في طاعته، لا سيما بعد أن علم بقدوم الجيش المصري من القاهرة للسيطرة على دمشق[83]. ويبدو أن العادل الثاني قد أحس بخطر الجواد الذي استبد بالسلطة في دمشق، وألقى اللوم على أبناء شيخ الشيوخ في ضياع ملك أبيه في دمشق بقوله لهم: "أنتم ضيعتم عليّ ملك دمشق، وسلمتهم دمشق وخزائن أبي إلى الملك الجواد، وما أعرف عود دمشق إليّ وانتزاعها من يد الملك الجواد إلا منكم"[84].

العلاقة بين الجواد يونس والملك الصالح أيوب والتنازل عن دمشق:

تسبّب اضطراب العلاقات بين السلطان العادل الثاني والملك الجواد يونس، ونية السلطان في الاستغناء عن خدمات الأخير، وعزله عن نيابة دمشق، في جعل صاحب دمشق يستغل الخلافات ما بين الأخوين السلطان العادل الثاني والملك الصالح أيوب بسبب سلطنة أخيه، كون الصالح

أيوب هو الأكبر من أبناء الكامل[85]، وكان الصالح أيوب قد قدم بعساكر الشرق قاصدًا الديار المصرية لاستعادة حقه في عرش السلطنة، وعندما أصبح على مقربة من دمشق، وقبل وصول العساكر المصرية إليها، أرسل الجواد يونس العلاّمة كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم[86]، وإلى جانبه خطيب المسجد الأموي ابن طلحة، أرسلهم في سفارة إلى الملك الصالح أيوب يعرض عليه تسليم دمشق وتعويضه بمناطق سنجار، والرقة[87]، وعانة، الأمر الذي استحسنه الملك الصالح، وأجابه إلى ذلك[88]، وقد ورد على لسان الجواد حين داهمه الخطر الصالحي في دمشق، قبل تسليمها للصالح أيوب، قائلاً: "أنا إيش أعمل بالملك؟ باز[89] وكلب عندي خير من ملك الأرض"، وهذا ما دفعه إلى الخروج نحو البرية بحجة الصيد، ومن ثم كاتب الملك الصالح بالقدوم إلى دمشق[90]، وزاده على اقطاعه منطقة الجديدة[91]، ويذكر أن السبب وراء مقايضة الجواد لدمشق بتلك المناطق كان يكمن في ضيق الجواد، وعجزه عن القيام بأمور نيابته من جهة، لا سيما أنّ المشرف على تدبير الأمور في مناطق حكمه مجموعة من الفاسدين الذين تآمروا على الملك الجواد وكذلك عامة السكان الذين يقطنون في دائرة حكمه، كيف لا وقد شعر بالعجز التام عن الاستمرار في حكم الدمشقيين والتنصّل من تحمل المسؤولية، ومن ثم الانصراف نحو اشباع رغباته والتمتع بملذات الحياة، ومن الأسباب الأخرى التي دفعته إلى الاتصال بالملك الصالح أيوب خوفه من السلطان العادل الثاني من جهة أخرى[92]، الأمر الذي جعله يتآمر مع الملك الصالح أيوب، ويحثه على القدوم، وعندما حضر الصالح استأنس به وقايضه، "ثم دخلا دمشق معاً، وقد مشى الجواد بين يدي الصالح، وحمل الغاشية[93] من تحت القلعة"، ونزل الصالح أيوب في قلعة دمشق والجواد في دار فرخشاه[94]، ثم ندم الجواد على مقايضة دمشق بسنجار[95]، وبعد أن استتب الأمر للصالح أيوب في دمشق، خرج الملك الجواد من الدار باتجاه النيرب[96]، وعند باب النصر أهانه الكثير من الدمشقيين، وأخذوا في سبّه بوجهه لما أقدم عليه هو وأتباعه من الإساءة إلى أهل المدنية[97]، فيما يذكر ابن واصل أن الملك الجواد بعد دخول الصالح أيوب، والإقامة في قلعة دمشق، انتقل هو إلى دار السعادة على باب النصر قبل الخروج نحو البلاد الشرقية[98]. وكانت مدة نيابة الملك الجواد في دمشق نحو عشرة أشهر وستة عشر يومًا[99]، وبعد خروجه من دمشق واستقراره في سنجار، لم تذكر المصادر التاريخية أي اشتراك للجواد يونس في معمعة الأحداث والصراعات السياسية والعسكرية على الأرض الشاميّة، التي اندلعت بين السلطان الصالح أيوب وأمراء البيت الأيوبي في دمشق وحماة وحمص وغيرها، وذلك خلال السنوات التي تلت سنة 636هـ /1238م أي سنة خروجه من الشام نحو البلاد الشرقية[100]، وظل الأمر كذلك حتى عام 639هـ/ 1241م، حيث حاول الجواد التقرّب من السلطان الصالح أيوب، والدخول في خدمته، وعند وصوله منطقة الرملة خافه الصالح أيوب، وبعث كمال الدين ابن شيخ الشيوخ للقبض عليه، فما كان من الجواد إلاّ أن هرب نحو الناصر داود واستجار به في القدس، فاستقبله وعفا عنه، وأرسل معه جيشًا حارب به الجيش المصري

تحت قيادة ابن شيخ الشيوخ، وتمكن من هزيمتهم دون الدخول إلى الديار المصرية[101]، ومن ثم سيّره الناصر داود بعد أن توجّس منه خيفةً نحو بغداد، وفي منطقة الأزرق[102] عثر به جماعة من العرب، فأطلقوا سراحه وعاد إلى دمشق، حيث التجأ إلى صاحبها الملك الصالح إسماعيل[103].

العلاقة بين الجواد وعمه الصالح إسماعيل:

بعد النكران الذي واجهه الملك الجواد يونس من أبناء العمومة السلطان الصالح أيوب صاحب الديار المصرية والملك الناصر داود صاحب الكرك والقدس، وتوجسهم منه خيفةً، وتوهمّهم كذلك من وجوده داخل مناطق حكمهم، تمكن الجواد من الهروب من قبضة عساكر الناصر داود الذين رافقوه في الطريق لتسليمه للخليفة العباسي في بغداد، حيث تمكن من الإفلات منهم بواسطة جماعة من العربان، وكانت وجهته هذه المرّة نحو عمه الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق، الذي رفض استقباله ودخوله المدينة، في حين بعث إليه بالنفقات، وجرّد معه خمسمائة فارس، وأمره بالذهاب إلى الساحل والالتقاء بالفرنج، إلاّ أن انضمام الجواد ولحاقه بالفرنج قد أغضب الملك الصالح إسماعيل، لا سيما بعد أن عاضدهم عليه، وتمكن الصالح إسماعيل أخيرًا من القبض على الجواد في منطقة العوجاء[104]، ومنها سيّره إلى دمشق، ومن ثم اعتقله في عربا، حيث توفي فيها سنة 641هـ /1243م[105].

سياسة الملك الجواد الخارجية:

تقلّبت الأحوال بالملك الجواد يونس وقت تسلّمه نيابة دمشق، وكذلك إقدام أتباعه على مصادرة أهالي المدينة من عامة وكتّاب وتجّار وأمراء، الأمر الذي أزعج العادل الثاني في الديار المصرية، وخاف على ضياع دمشق بسبب استبداد الجواد فيها، وفوض حينها عماد الدين ابن شيخ الشيوخ بالذهاب إلى دمشق والقيام بعزله عن النيابة، وكان ذلك في عام 636هـ/ 1238م، مما دفع بالجواد إلى الدخول في علاقات مع **الإسماعيلية**، حيث طلب من نوابهم العون في التخلص من سفارة السلطان العادل الثاني، وقد بذل لهم أموالاً طائلة، ومن ثم أرسل الإسماعيلية اثنين من العناصر الفدائية، تمكنا من قتل عماد الدين على باب المسجد الأموي في السادس عشر من شهر جمادى الأول في عام 636هـ/ 1238م[106].

أما علاقة الجواد **بالخوارزمية** فقد بدأت منذ سنة 638هـ /1240م، وذلك عندما دخل بعساكره إلى جانب الخوارزميين الذين أغاروا على حلب، وكانوا قد عبروا نهر الذهب[107]، والتقى الطرفان في قرية البيرة[108]، وتمكن الخوارزميّون آنذاك من هزيمة العسكر الحلبي، وقتل الكثير منهم، ثم أسروا مقدم العسكر الحلبي الملك المعظم، واستولوا على جميع أثقال العسكر، وقد رافقهم الملك الجواد إلى حيلان[109] ثم إلى فافين[110]، والعساكر الخوارزمية تنهب وتسلب وتقتل

الأسرى[111]، حتى جاء الملك المنصور صاحب حمص على رأس العساكر، والتقى بهم وهزمهم ولاحقهم حتى مدينة حران ثم الخابور[112]، وقد انتهى بهم المطاف إلى عانة هاربين[113]. وكان الجواد قد باع عانة في العام 637هـ /1239م للخليفة العباسي المستنصر بالله (624-640هـ/ 1226-1242م) بمائة وعشرين ألف درهم، وبعد أن قبض المال سلمّها للعباسيين، ورحل عنها، وانضم إلى جانب الخوارزميين في حرّان، وقيل مكث عندهم في حرّان سنة كاملة، حيث حارب إلى جانبهم ضد الحلبيين كما ذكرنا سابقًا[114].

كما ارتبط الملك الجواد في علاقات سادها الطابع الودي في أغلب الأحيان مع **أمير الموصل** بدر الدين لؤلؤ، فبعد أن هاجمت العساكر الموصلية مدينة سنجار التابعة للجواد، وفرضت عليها الحصار، سار إليها الجواد في مائتي فارس، وعندما أصبح على مقربة منها رسم بضرب تعريف باز في كل ناحية من نواحيها، وقسم فرسانه إلى عدة فرق، وجعل كل فرقة طبلخاناه[115]، ومشاعل، وأمرهم بضرب طبلخاناتهم دفعة واحدة، وسار إلى المدينة ليلاً بهذه الفرق، الأمر الذي جعل صاحب الموصل يتوهم بكثرة عسكر الجواد، فغادرها ليلاً، ثم دخلها الجواد، ومكث فيها نحو سنة[116]. وبعد ذلك تحسنت العلاقات بين الطرفين، وتبادلت الرسل في شأن المصاهرة بينهما، حيث طلب الجواد ابنة صاحب الموصل، وتم عقد الزواج في الموصل، واتفق الطرفان على الاجتماع في عانة، وسيّر بدر الدين ابنه كرهينة، فوافق الجواد وخرج نحو عانة، ولكن صاحب الموصل غدر به، ودخل بعساكره سنجار بعد أن أفسد أهلها على صاحبها الجواد يونس، وكان سقوط سنجار في أيدي الموصليين سنة 637هـ/ 1239م[117]، وعندها لجأ الجواد يستنجد بالخليفة العباسي الذي أمده بأربعة آلاف دينار، وأخرجه من بغداد، فتوجه إلى الخوارزميين، ومكث في حرّان، ثم غادرها باتجاه مصر، وعندما علم بنية عمه الصالح أيوب القبض عليه، عاد نحو فلسطين، ودخل في طاعة الملك الناصر داود، وكان إذ ذاك مقيمًا في القدس من أراضي فلسطين[118].

الجواد والفرنج:

نظرًا لما اقترفته أيدي الجواد في حق أهالي دمشق، وعلى شتّى طبقاتهم الاجتماعية من ظلم ومصادرة وتنكيل، حيث أساء السيرة والسلوك، ثم خرج منها والناس من حوله قبل مغادرتها يسبونه ويشتمونه؛ فقد انعكس ذلك على مصداقيته لدى أمراء البيت الأيوبي الآخرين، حكام المدن الشامية، فلم يجد مكانًا يأوي إليه، لا عند ابن عمّه الصالح أيوب ولا الناصر داود، الذي سيرّه على رأس تجريده من العساكر لقتال الصالح أيوب وعساكره، وربما كان في فكر الناصر داود التخلص منه، وعدم إدخاله إلى القدس؛ حتى إنّه أخذ يفكر في قتله، إلاّ أنه قام بإرساله إلى بغداد، لكنه هرب في الطريق، واتجه نحو عمه الصالح إسماعيل في دمشق، فلم يمكّنه الآخر من

الدخول إلى المدينة[119]، بل أرسله على رأس خمسمائة فارس نحو الساحل الشامي للاجتماع مع ملوك الفرنج، ومقدم فرسان الداوية[120]. فكان أول لقائه بالفرنج في قيسارية [121]، حيث طلب إليه الصالح أيوب الدخول في مفاوضات من أجل استمالة الفرنج إلى جانبه، وإتمام الصلح بين الطرفين، ونجح في ذلك، إلاّ أن ما صنعه الصالح أيوب بعد إرساله الأمير ركن الدين الهيجاوي[122] رسولاً إلى الفرنج، ويأمره بالقبض على الملك الجواد يونس، جعل الأخير بعد سماعه الخبر، يدخل في صف الفرنج، فوصل عكا والتجأ إليهم[123]. وهو من قام بتحريض الفرنج على عدم الدخول في تحالف مع الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق، فأصبح بمثابة المستشار لهم[124]، إلا أن الصالح إسماعيل تمكن من القبض عليه في منطقة العوجاء، ثم نقله إلى دمشق، وسجنه في عزتا، وظل في سجنه حتى مات في شهر شوال من سنة إحدى وأربعين وستمائة، حتى إنّ الفرنج قد تشددوا في طلبه وإطلاق سراحه، ولكن دون جدوى[125].

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الرئيسية الآتية:

1. اقتنص الملك الجواد الظروف الجديدة التي ظهرت على الساحة الشامية، والمتضمنة وفاة سلطان الديار المصرية الكامل، وصاحب دمشق الملك الأشرف موسى، بحصوله على نيابة دمشق بعد تقرّبه من السلطان العادل الثاني، وانضمام مجلس شورى أمراء دمشق إلى جانبه.
2. انفرد الجواد بالحكم في دمشق بعد التنكيل بمن ساعده من الأمراء في الوصول إلى كرسي النيابة، أمثال أبناء شيخ الشيوخ عماد الدين وشقيقه فخر الدين.
3. أفرط الجواد في توزيع أموال الخزائن في دمشق، وخص أتباعه وأمراء عساكره بالنصيب الأكبر من تلك الأموال.
4. أساء الجواد إلى الأعيان والتجار في المدينة، وصادر أموالهم وممتلكاتهم، كما فعل مع الصفي بن مرزوق.
5. أدار الملك الجواد دمشق إدارة سياسية عسكرية مستبدة، وشبه مستقلة عن السلطان العادل الثاني.
6. فشل الجواد في الاستمرار في حكم دمشق الناتج عن سوء السيرة والسلوك التي اتبعها الجواد مع الأهالي، واستخفافه بهم، وبمدينتهم التي تنازل عنها مقابل ممتلكات أخرى خارج البلاد الشامية، الأمر الذي دفع الكثير من المؤرخين إلى إهمال متابعة مصير تلك الشخصية.

The Jawad King Muzaffaruddin Yunus bin Mamdoud bin Mohammad bin Ayyoub (635-641 H/ 1237-1243 AD)

Abdulmoiz Bani Essa, *History Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The present study aims at investigating the biography of one of the Ayyubids dynasty Emirs (princes) who ruled Damascus during the reign of Sultan Al-Adel II, the Jawad King Yunus. The study also attempts to explore the system of his regime through his internal regulations and foreign relations with the Sultans and Emirs of the Ayyubids and their allies. Further, the study sheds more light on him allying with the Franks against his Ayyubid cousins after which he ended up in prison where he died in 641 H/ 1243 AD. The study concludes that during the rule of this lavish King over Damascus, tyranny prevailed through adopting an individualistic approach during; he also used his army to confiscate the properties and money of both the aristocrats and the masses and to abuse them. This later lead to him losing all his powers and properties not only in Damascus but also all over the states which he once ruled.

Keyword: The Jawad; Al-Adel II; An-Nassir; Daoud; As-Saleh Ayyoub; Damascus government.

الهوامش

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن قاليماز، (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية بيروت، 2004م، مج3، ص 4298؛ موسى، محمد حسن عقيل، نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء، دار الأندلس، جدة، 1991م، مج3، ص 1592.

(2) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج 29، ص 187.

(3) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، د.م، 1998م، ج 17، ص 270؛ الوافي بالوفيات، ج29، ص 187.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 270.

(5) الصفدي، الوافي، ج 29، ص 187.

(6) الصفدي، الوافي، ج29، ص 187؛ موسى، نزهة الفضلاء، ص 1592.

(7) الصفدي، الوافي، ج29، ص 187؛ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1266م)، الذيل على الروضتين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص 255.

(8) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية. انظر: الحموي، ياقوت الملك عبد الله الرومي، (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م ج3، ص262؛ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م، ج3، ص1-5.

(9) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت، وهي من أعمال الجزيرة، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص72.

(10) كيفا: قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة أبن عمر من ديار بكر. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج 2، ص 265

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ج5، ص 296؛ عقيل، نزهة الفضلاء، مج3، ص 1592.

(11) الصفدي، الوافي، ج9، ص 187.

(12) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج29، ص 187؛ عقيل، نزهة الفضلاء، ص 1592؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 296.

(13) عزتا: من قرى دمشق وفيها عين الفيجة التي تغذي نهر بردى. للمزيد انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص 358.

(14) ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 271.

(15) الصفدي، الوافي، ج29، ص 187؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 297.

(16) الدولة الخوارزمية: هي من جملة فروع الدولة السلجوقية، وأول من نبه مهن خوارزم شاخ محمد بن أنو شتكين الذي تولى حكم خوارزم سنة 480هـ/1096م، ومن ثم اتسعت أملاك الخوارزميين لتشكل الدولة الخوارزمية. انظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن الوهاب (ت733هـ/1332م)، تحقيق: نجيب خوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ج27، ص 137 وما بعدها.

(17) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 296.

(18) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج29، ص 187؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 297.

(19) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 297؛ الصفدي، الوافي، ج 29، ص 187.

(20) ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 270- 271؛ الصفدي، الوافي، ج 29، ص 187؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 297؛ الذهبي، سير الأعلام، ج3، ص4298؛ عقيل، نزهة الفضلاء، ص 1592.

(21) مفرج الكروب، ج5، ص 297.

(22) الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب)، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، 1972م، ج7، ص 323 – 324..

(23) ابن نظيف الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي، التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيانات في حوادث الزمان)، تحقيق: أبو العبد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق، 1981، ص 153؛ ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون، مختصر الدول، (د.ن:د.م)، ص 425.

(24) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، 153، ابن العبري مختصر الدول، ص 425.

(25) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، (د.ت)، ج3، ص 157- 158.

(26) كيقباذ: علاء الدين بن كينمسرد بن قلج أرسلان سلطان الروم، توفي سنة 1236/634م، انظر: الصفدي، الوافي، ج24، ص288.

(27) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 299- 300، 365.

(28) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص137؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص 379.

(29) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص 135؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 379.

(30) أبو شامة الذيل، ص 255؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، (ت 874هـ/ 1469 م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936م، ج6، ص 299؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار فرانز شتايز، فيسبادن، 1975م، ج1، ص268.

(31) ابن قليح، الأمير سيف الدين علي بن قليج، صاحب المدرسة القليجية في دمشق، توفي سنة 643هـ/ 1245 م؛ انظر: الصفدي، الوافي، ج21، ص261.

(32) عز الدين أيبك: الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله، ولي نيابة قلعة دمشق، توفي سنة 668هـ/ 1269 م. انظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ج3، ص136.

(33) فخر الدين: الأمير أبو الفضل يوسف ابن الشيخ صدر الدين محمد ابن حمويه الجويني، توفي سنة 635هـ/1237م. انظر: ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1991م، ج7، ص316.

(34) عماد الدين ابن الشيخ: الأمير أبو الفضل يوسف بن الشيخ صدر الدين محمد ابن حموية الجويني، توفي سنة 647هـ/1249م؛ انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص413.

(35) شيخ الشيوخ: صدر الدين أبو الحسن محمد ابن شيخ الشيوخ عماد الدين محمد ابن حموية، والد ابناء شيخ الشيوخ، توفي سنة 617هـ، للمزيد انظر: ابو شامة الذيل، ص 189.

(36) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 328؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج29، ص 149؛ المقريزي، السلوك، ج6، ص 382؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج16، ص 303.

(37) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 328.

(38) نهاية الأرب، ج29،ص 149.

(39) المقريزي، السلوك، ج1، ص 382؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 6، ص 303.

(40) الركن الهيجاوي: الأمير نور الدين علي بن الأمير فخر الدين عثمان. انظر: المقريزي، السلوك، ج1، ص 382.

(41) الدبابيس: جمع دبوس، وهو سلاح استخدمه العرب في القتال منذ العصر الجاهلي، ويكون على شكل هرواة مُدَمْلَكة الرأس. انظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص176.

(42) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 173؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 328؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 303.

(43) مفرج الكروب، ج5، ص 172.

(44) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 172.

(45) المقريزي، السلوك، ج1، ص 382.

(46) القابون: مكان بينه وبين دمشق ميل واحد يقع في الطريق باتجاه العراق. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص290

(47) البداية والنهاية، ج17، ص238

(48) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 328

(49) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله (ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الرسالة العالمية، دمشق، 2013م، ج22، ص348؛ ابن كثير؛ البداية والنهاية، ج17، ص 238.

(50) المقريزي، السلوك، ج1، ص 382.

(51) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 161.

(52) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 173.

(53) البداية والنهاية، ج17، ص 238.

(54) الصنجق: علم أو راية: لفظ فارسي أو تركي، والسنجقدار حامل العلم أو صاحب الراية. انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص259؛ دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص93.

(55) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 153.

(56) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 0304

(57) المكوس: ضريبة يأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التجار على البضائع القادمين بها، وهي جمع مكس. انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص406.

(58) الدواداري، كنز الدرر، ج 7، ص 329؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 386؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 304.

(59) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 149.

(60) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 175؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 149؛.

(61) مفرج الكروب، ج5، ص 175.

(62) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج16، ص 348؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 149، الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 329.

(63) الصفي بن مرزوق: الصفي بن إبراهيم بن مرزوق بن إبراهيم بن هبة الله العسقلاني الكاتب ألقي عليه القبض من قبل الجواد يونس؛ انظر: أبو شامة، الذيل، ص256؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص515..

(64) ابن كثير البداية والنهاية، ج17، ص 242.

(65) السراري: ومفردها سُرِّية، الجواري، انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المطبعة الميرية، بولاق، 1882م، ج6، ص22..

(66) المدرسة النجيبية: تقع بجانب المدرسة النورية في دمشق، بناها جمال الدين أقوش الصالحي النجيبي، وأوقف عليها أوقافًا كثيرة درس فيها الخطيب عز الدين الفاروقي وضياء الدين الطوسي وغيرهم. انظر: النعيمي، عبد القادر بن محمد، (ت978هـ/1570م)، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج1، ص358.

(67) كنز الدرر، ج7، ص233 – 234؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 155.

(68) ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 242؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 333.

(69) سفط: وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء، انظر: إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، د.م، 2004م، ص433..

(70) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 329.

(71) المقريزي، السلوك، ج1، ص 383.

(72) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص 20؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 233؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 155؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 390.

(73) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص199؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 390.

(74) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 175؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 329.

(75) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين القدس يومان. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص184.

(76) جينين: من أعمال صفد. انظر: ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص374..

(77) الدواداري، كنز الدرر، ح7، ص 329؛ المقريزي، السلوك، 1، ص 386.

(78) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 309؛ أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 162؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 150؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 386.

(79) جريدة: يقصد بها الوحدة العسكرية الصغيرة التي تقوم ببعض الحملات وتكون بدون أثقال أو دروع. للمزيد انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص122.

(80) ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 238.

(81) البحيرة: كورة من نواحي الإسكندرية في مصر، تشتمل على عدة قرى. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج1، ص351.

(82) المقريزي، السلوك، ج1، ص 390؛ أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 163؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 199؛ أبو شامة، الذيل، ص255.

(83) المقريزي، السلوك، ج1، ص 390.

(84) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 199.

(85) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 305.

(86) ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي الفضل هبة الله بن أبي غانم محمد ابن قاضي جلى ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم، ولد سنة 583/1187م، وتوفي سنة 660هـ/1261م؛ انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن قاليماز، (ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999م، ج48، ص422.

(87) الرقة: إحدى مدن الجزيرة الفراتية؛ انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص348؛ ابن شداد، الأعلاق، ج3 ق1، ص81.

(88) المقريزي، السلوك، ج1، ص 390؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 305.

(89) الباز: جيش في الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم، من فصيلة العقاب النسرية، تميل أجنحتها إلى القصر، وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول، ولها مهارة فائقة في السير.

(90) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 332.

(91) الجديدة: اسم القلعة بين نصيبين والموصل ومتصلة بأعمال حصن كيفا؛ انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص115.

(92) الدواداري، كنز الدرر، ج 7، ص 331؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص 390.

(93) الغاشية: سرج من بلد مخروز بالذهب، تحمل بين يدي السلطان في المواكب الحافلة؛ انظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص115.

(94) دار فرخشاه: الملك المنصور عز الدين فرخشاه في دمشق، المتوفي سنة 578هـ/ 1182 م؛ انظر: أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ج3، ص83.

(95) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 306.

(96) النيرب: قرية مشهورة في دمشق؛ انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص330.

(97) الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 332؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 306.

(98) مفرج الكروب، ج5، ص 203؛ أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 163؛ الدواداري، كنز الدرر، ج7، ص 332.

(99) المقريزي، السلوك، ج1، ص 391.

(100) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 164 – 165.

(101) ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 255.

(102) الأزرق: ماء في طريق حاج الشام، وتعد واحة صحراوية غنية بالمياه العذبة وتقع في شرق الأردن، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص168؛ar.wikipedia.org

(103) النويري، نهاية الأرب، ج129، ص 161.

(104) العوجاء: نهر بين أرسوف والرملة في أرض فلسطين؛ انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص167.

(105) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 161- 162.

(106) المقريزي، السلوك، ج1، ص 390.

(107) نهر الذهب: نهر وادي بطنان على حد زعم أهل حلب، ويمرّ في بزاغة؛ انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص320.

(108) البيرة: قلعة حصينة بين حلب والثغور الرومية، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص526.

(109) حيلان: من قرى حلب؛ انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص332.

(110) فافين. قرية سورية في شمال حلب في منطقة أعزاز؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص118؛ ar.wikipedia.org

(111) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 283 – 284.

(112) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة وهو ولاية واسعة من مدنها قرقيسيا والمجدل وعربات؛ انظر؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، 334.

(113) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 294.

(114) ابن شداد، الأعلاق، ج3، ج1، ص60؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 160.

(115) طبلخاناه: لفظ فارسي أطلق في بداية العصر الأيوبي على المكان المعد لحفظ الطبول والأبواق التي يستخدمها الجيش في الموسيقات العسكرية، ثم انحصر هذا اللفظ بالفرقة الموسيقية الخاصة بالسلطان، وتحول في العصر المملوكي ليصبح صاحبها أمير الطبلخاناة، فكان من أرباب المناصب الإدارية والعسكرية ومع التوسع أصبح لقبًا عسكريًا يدل على رتبة عسكرية وأصبح يأتي في المقام الثاني بعد أمير المئين، انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص303-304؛ دهمان، معجم الألفاظ، ص106.

(116) ابن شداد، الأعلاق، ج3،ق1، ص60؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 159- 160.

(117) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 160.

(118) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 292-293؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 160.

(119) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 160- 161؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص 255.

(120) فرسان الداوية: تنظيم صليبي ديني ظهرت في بلاد الشام خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وكانت أهدافه في بداية الأمر خيرية وإنسانية، ثم تحولت إلى منظمة عسكرية، ساندت الحملات الصليبية من المسلمين في بلاد الشام. انظر: الزيدي، مصعب حمادي، موقف تنظيمي الاستبارية والداوية في حروب صلاح الدين، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج3، ع6، 2009م، ص85 وما بعدها.

(121) قيساريّة: بلد على الساحل الشامي من أعمال فلسطين بينها وبين طبريا ثلاثة أيام؛ انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص421.

(122) ركن الدين الهيجاوي: أحد الأمراء في دمشق وأعيان الشام وأسهم في إيصال الجواد إلى حكم دمشق؛ انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص270.

(123) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 161.

(124) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 161- 162؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج17، ص 255.

(125) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 162.

قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم، أنيس، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، د.م، (2004).

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (930 هـ/1524م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، دار فرانز شتايز، فيسبادن، (1975).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469 م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (1936).

ابن تغري، بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق: نبيل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1985).

الحموي، ياقوت الملك عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، (1977).

الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1996).

دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، (1990).

الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أيبك، **كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب)**، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، (1972).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن قاليماز (ت748هـ/1347م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (1999).

الزيدي، مصعب حمادي، موقف تنظيمي الاستبارية والداوية في حروب صلاح الدين، **مجلة كلية العلوم الإسلامية**، مج3، ع6، (2009).

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله (ت654هـ/1256م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الرسالة العالمية، دمشق، (2013).

أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1997).

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1266م)، **الذيل على الروضتين**، دار الكتب العلمية، بيروت، (2002).

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1285م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (1978).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (2000).

ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون (685 هـ)، **مختصر الدول**، (د.ن:د.م)، (1286).

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، (1991).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية، مصر، (د.ت).

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ/1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، (2010).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (1997).

ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، د.م، (1998).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (711 هـ/1310م)، **لسان العرب**، المطبعة الأميريّة، بولاق، (1882).

موسى، محمد حسن عقيل، **نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء**، دار الأندلس، جدة، (1991).

ابن نظيف الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي، **التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيانات في حوادث الزمان)**، تحقيق: أبو العبد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق، (1981).

النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ/1570م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، دار الكتب العلمية، بيروت، (1990).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: نجيب فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697ه/)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: حسنين محمد ربيع، دار الكتب والوثائق القومية، مصر. (1298).